الزيارة الرجبيّة

فرادة الدلالة كما يراها الإمام الخميني

إعداد: «شعائر»

جاء في «توقيع» خرج من الناحية المقدّسة: «أللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَميع مَا يَدْعُوكَ بِه وُلاةُ أمْرِكَ، المَأْمُونُونَ عَلَى سرِّكَ "..." لا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا (بينهم) إلّا أنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤهَا منْكَ وَعَوْدُهَا إلَيْكَ». وقد اشتدَّ إنكار البعض، وتعالى نكيرُهم على هذا الدعاء- الزيارة، ظنّاً منهم منافاة فقرة «لا فَرْق بينها وبينك، إلّا أنَّهم عبادُك» لحقيقة التوحيد!

في ما يلي نصّ الدعاء-الزيارة، وبعض ما قاله الإمام الخميني قدس سره حول فرادة دلالتها، التي ترقى إلى أصلٍ إعتقاديٍّ في معرفة المعصومين عليهم السلام.

روى الشيخ الطوسي رضوان الله عليه في (مصباح المتهجّد) نصَّ هذا التوقيع، وقد نقله عنه السيّد ابن طاوس في (الإقبال) فقال: ومن الدعوات في كلّ يومٍ من رجب ما رويناه أيضاً عن جدّي أبي جعفر الطوسي رضي الله عنه، فقال: أخبرني جماعة عن ابن عياش قال: ممّا خرج على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد رضي الله عنه من الناحية المقدّسة، ما حدَّثني به «خير بن عبد الله»، قال: كتبتُه من التوقيع الخارج إليه:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم. أُدع في كلّ يومٍ من أيّام رجب:

أللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أمْرِكَ، المَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ، المُسْتَبْشِرُونَ بِأمْرِكَ، الواصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ، المُعْلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ. أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِم مِنْ مَشِيئَتِكَ، فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ، وَأَرْكاناً لِتَوْحِيدِكَ، وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ، الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا (بينهم) إلّا أنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إلَيْكَ، أعْضَادٌ وأشْهَادٌ، وَمُنَاةٌ وَأذْوادٌ، وَحَفَظَةٌ وَرُوَّادٌ، فَبِهِمْ مَلأْتَ سَمَاءَكَ وَأرْضَكَ حَتَّى ظَهَرَ أنْ لا إلهَ إلّا أنْتَ، فَبِذَلِكَ أسْأَلُكَ وَبِمَوَاقِعِ العِزِّ مِنْ رَحْمَتِكَ وبِمَقَامَاتِكَ وعَلامَاتِكَ أنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأنْ تَزِيدَنِي إيمَاناً وَتَثْبِيتاً، يَا باطِناً فِي ظُهُورِهِ، ويَا ظاهراً فِي بُطُونِهِ وَمَكْنُونِهِ، يَا مُفَرِّقاً بَيْنَ النُّورِ والدَّيْجُورِ، يَا مَوْصُوفاً بِغَيْرِ كُنْهٍ، وَمَعْروفاً بِغَيْرِ شِبْهٍ، حَادَّ كُلِّ مَحْدُودٍ، وَشَاهِدَ كُلِّ مَشْهُودٍ، وَمُوجِدَ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَمُحْصِيَ كُلِّ مَعْدُودٍ، وَفَاقِدَ كُلِّ مَفْقُودٍ، لَيْسَ دُونَكَ مِنْ مَعْبُودٍ، أهْلَ الكِبْرِيَاءِ وَالجُودِ. يَا مَنْ لا يُكَيَّفُ بِكَيْفٍ، وَلا يُؤَيَّنُ بِأيْنٍ، يَا مُحْتَجِباً عَنْ كُلِّ عَيْنٍ، يَا دَيْمُومُ يَا قَيُّومُ، وعَالِمَ كُلِّ مَعْلُومٍ، صلِّ عَلى عِبَادِكَ المُنْتَجَبِينَ، وَبَشَرِكَ المُحْتَجِبِينَ وَمَلائِكَتِكَ المُقَرَّبِينَ، وبُهْمِ (والبُهم) الصَّافِّينَ الحَافِّينَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي شَهْرِنَا هَذا المُرَجَّبِ المُكَرَّمِ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الأشْهُرِ الحُرُمِ، وَأسْبِغْ عَلَيْنَا فِيهِ النِّعَمَ، وَأجْزِلْ لَنَا فِيهِ القِسَمَ، وأبْرِرْ لَنَا فِيهِ القَسَمَ، بِاسْمِكَ الأعْظَمِ الأجَلِّ الأكْرَمِ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلى النَّهَارِ فَأضَاءَ وَعَلى اللَّيْلِ فَأظْلَمَ، وَاغْفِرْ لَنَا مَا تَعْلَمُ مِنَّا وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَاعْصِمْنَا مِنَ الذُّنُوبِ خَيْرَ العِصَمِ وَاكْفِنَا كَوَافِيَ قَدَرِكَ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِحُسْنِ نَظَرِكَ، وَلا تَكِلْنَا إلى غَيْرِكَ، وَلا تَمْنَعْنَا مِنْ خَيْرِكَ، وَبَارِكْ لَنَا فِيما كَتَبْتَهُ لَنَا مِنْ أعْمَارِنَا، وَأصْلِحْ لَنَا خَبِيئَةَ أسْرَارِنَا، وَأعْطِنَا مِنْكَ الأمَانَ، واسْتَعْمِلْنَا بِحُسْنِ الإيمَانِ، وَبَلِّغْنَا شَهْرَ الصِّيَامِ، ومَا بَعْدَهُ مِنَ الأيَّامِ والأعْوَامِ، يَا ذا الجَلالِ والإكْرَامِ.

***

* وقد اعتنى الإمام الخميني قدس سره بدلالة هذه الزيارة، لأنّ مضمونها يَقع في صميم رؤيته لمقامات النبيّ وأهل البيت صلّى الله عليه وعليهم، فتحدَّث عنها مراراً وتكراراً بلُغةٍ خاصّة، وممّا قاله قدس سره: «إقرأوا هذه الزيارة الرجبيّة التي ذكَرت للأئمّة عليهم السلام مقامات تُبيِّنها عبارة "لا فَرْق بينك وبينهم إلّا أنّهم عبادك"، أي أنَّ كَوْنهم عبادك هو الفرق الوحيد».

وكان الإمام يؤكّد على هذه الفقرة ويقول: «إنَّ كَوْنهم عِباد الله هو الفارق بينهم وبين الله تعالى، أي أنَّ جميع القوى الإلهيّة هي بيد الأئمّة عليهم السلام»، ثمّ كان يقول بعد ذلك: «إقرأوا هذه الزيارة لكي لا تُنكِروا ما قد يُنقَل من مقامات أولياء الله، أو على الأقلّ تَقبَلون به كمجرَّد إحتمال».

عينُ اللّه النّاظرة

الفرَج الخاص قبل الظهور

إعداد: أسرة التحرير

*** على كلّ شخص أن يفكّر بنفسه ويجد طريقاً للإرتباط بالحُجّة عجل الله فرجه الشريف، ليحصل على فَرَجه الشخصيّ، سواء كان ظهور الإمام عليه السلام قريباً أم بعيداً. لماذا لا نهتمُّ بذلك، مع أنّ الفرج الشخصيّ أمرٌ باختيارنا ويقع بإرادتنا، خلافاً للظهور، والفرج العام؟**

*** تقدّم «شعائر» نبذة من توجيهات شيخ الفقهاء العارفين الشيخ بهجت قدس سره، حول ضرورة الإرتباط بالإمام المهدي عليه السلام في زمن الغَيبة.**

إنّ ابتداء حركة الإنسان في مسيرة الكمال والمعرفة هي القابليّة والإستعداد، وبهما يستطيع المرءُ الوصول من اللاشيء إلى كلّ شيء، وغاية السَّير ومقصده هو الله سبحانه وتعالى.

والربوبيّة الإلهيّة تتكفّل بمساعدة الإنسان وإرشاده في حركته التكامليّة للوصول إلى الغاية المقصودة، فقد جاء في دعاء أبي حمزة الثمالي: «**من أين لي الخير يا ربّ ولا يوجد إلّا من عندك؟**».

فالله تعالى هو حافظنا ووليّنا وقائدنا وصاحبنا في طريقنا، كما يقول هو سبحانه عن نفسه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ..﴾ البقرة:٢٥٧، أي يُخرجهم من ظلمات الحَيرة إلى نور الهداية.

ونحن معرّضون للغرق في بحر الحياة، وهداية وليّ الله وإرشاده لنا لازمان وضروريّان في سبيل أن نصل سالمين إلى المقصد. لذا، علينا أن نستغيث بوليّ العصر عجل الله فرجه الشريف ليُنير لنا المسير، ويصحبنا إلى آخر مقصدنا وغايتنا.

إنّ صاحب الأمر قريبٌ منّا ومُطّلعٌ على أحوالنا، ولكنّنا نحن الذين لا نرى، فنعيش الغفلة والجهل تجاهه، ونظنّ أنّنا بعيدون عنه، ومن المؤسف حقاً أن لا نقدّر نعمة الولاية.

الفرج الشخصيّ قبل الظهور

على كلّ شخص أن يفكّر في نفسه ويجد طريقاً للإرتباط بالحجّة عجل الله فرجه الشريف، وأن يعثر –بالتالي– على فَرَجه الشخصيّ، سواء كان ظهور الإمام عليه السلام قريباً أم بعيداً.

لماذا لا نهتم بكيفيّة تحقيق الإرتباط والعلاقة بالحجّة عجل الله فرجه الشريف، على الرّغم من أنّ الفرج الشخصيّ أمرٌ باختيارنا ويقع بإرادتنا، خلافاً للظهور والفرج العام؟ ولماذا نحن غافلون عن هذا الموضوع، ونهتمّ فقط بالظهور واللّقاء العامّ معه عليه السلام؟

إذا لم نهتم بإصلاح أنفسنا لتحقيق فرجنا الشخصيّ، فهناك خوف من أنّنا سوف نفرّ منه عند ظهوره؛ لأنّنا نسير في طريق مَن لا يفرّق بين الأهمّ والمهمّ.

عين الله الناظرة

ألا ينبغي أن نلتفت إلى وجود قائدٍ وإمام لنا ناظرٍ على أعمالنا؟!

الويل لنا إذا لم نكن نرى بأنّه ناظر على أعمالنا، أو إنْ لم نرَ أنّه ناظر في كلّ مكان! إذا كانت نار جهنّم جزاء العاصي على الذّنوب الشخصيّة –ممّا لا علاقة له بالأمور الإجتماعيّة– التي يقترفها في الخلوة، إلّا بتوبة مناسبة للحال، فكيف ستكون عاقبة من اقترف «الذنوب الإجتماعيّة» التي تُسبّب اضطراب المجتمع، وزعزعة الأمن والنّظام، أو تُؤدّي إلى تحريم الحلال وترك الواجبات، أو مصادرة الأموال وهتك الحُرُمات، وقتل النفوس الزكيّة، وإراقة دماء المسلمين بغير الحقّ؟! هل يُمكننا أنّ نأتي بما نشاء من أعمال، أو أن نفرّ من الرقابة الإلهيّة، أو أنْ نُخفي أنفسنا، مع اعتقادنا بوجود قائدٍ وإمام هو «عين الله الناظرة»؟

كم سيكون الأمر شاقّاً علينا إنْ لم نُلاحظ رضاه صلوات الله عليه من عدمه في ما نفعل، وإنْ لم نسعَ لجلب رضاه وسروره في كلّ عمل نبتغيه؛ وطبعاً فإنّ رضاه أو سخطه معلومان في كلّ أمر، وفي موارد الشكّ يجب الإحتياط.

نفعُ الإمام يعمّ الجميع

يقول أحد السادة: «رأيتُ الإمام المهدي عليه السلام في أثناء اعتكافي في مسجد الكوفة في عالم الرؤيا، فقال لي: إنّ الذين يأتون إلى هنا – مسجد الكوفة– هم من المؤمنين الأخيار، ولكن كلّ واحد منهم جاء من أجل حاجة له كالدّار أو الولد، ولم يأتِ أحدٌ منهم من أجلي».

الأمر كذلك فعلاً، وكلٌّ منّا يفكّر في حاجاته فقط، ولا يفكّر في الإمام عليه السلام، مع أنّ نفعه وخيره يعمّان الجميع، وهو صلوات الله عليه من أهمّ الضروريات.